عربي ، وكل انسان حر شريف · واليوم نشعر اننا بتنا احرارا معك ، لا ظلمة بعد اليوم ، ولا صرير ابواب حديد ، ولا شتائم سجانين ! وينهمر الدمع من عينيه · هو لا يحاول ان يحبس دمعه · هو لا يمثل دورا ، وانما يحيا عمره بلا زيف وبلا رتوش · اذن فليجر الدمع من ماقيه · دموع فرح هي ، مشوبة بغصة · والمطران لا يكذب اهله ، ولا يخدع رفاقه ولا يموه على اخوته · انه يقول :

□ السجن يا ابنائي ! ما هو السجن ؟ اسلاك شائكة هو ، وعمدان شاهقة ، وجدران تحول بينك وبين الافق · اكثر من ذلك ! هو ايضا قيد في اليدين ،وقيد في الارجل · ولكنه ليس اكثر من ذلك · السجن الحقيقي يا ابنائي هو تكبيل اللسان ، وحرمان القلب من رعاية الوطن والمواطنين · ويسرح قليلا ، يشرد ، كأنه يستذكر تلك الايام التي سبقت الافراج عنه وما رافقها من ملابسات ، ثم يشتد ويقول :

□ انا اعرف مدى حب قداسة البابا وغبطة البطريرك مكسيموس لشخصي ، واعرف ان عاطفتهما السامية دفعتهما لانقاذي واخراجي من السجن ، ولكني ·

ويتعثر اللسان الذلق ، ويضطرب القلب الحائر بين الطاعة والثورة ، ثم يتدفق مرة اخرى من القلب للقلب حديث الراهب الثائر :

□ ليس في الدنيا كلها ما يعادل حرية لساني · ولن ارضى بالسجن الكبير بديلا عن سجني الصغير · انهم ان ارادوا قيد حريتي وابعادي عن فلسطين ، سأعفيهم من وعودهم وسأختار راضيا العودة الى سجني في الرملة · هناك على الاقل اشعر ان السماء التي تظللني في زنزانتي هي نفسها السماء التي تظلل يافا وحيفا والقدس والناصرة وجنين ··· ويستمر في تعداد مدن الوطن وقراه وكأنه يعدد اسماء الله الحسنى من حول حبات سبحته · سبحته ؟؟!!

ولسبحة المطران قصة · فهناك في سجنه ، بعد ان خانه النظر فلم يعد يقدر ان يقرأ ، اخذ يتسلى بالخشبة المقدسة ، خشبة الزيتون ·

وماذا يمكن ان تكون تسلية راهب جليل في سجنه الضيق !!

لقد تعلم الحفر حتى اتقنه ، ومن خشب الشجرة المباركة اخذ يحفر رايات العرب واسماء قادتهم موقعة بامضائه الطاهر من سجنه في الرملة ، ويربطها بعد ذلك بسبحة من خيوط مجدولة ·

ومن سجنه اوصل هداياه لقادة العرب وحكامهم ، ومع كل هدية رسالة ، وكل رسالة موعظة وعبرة ، ومناشدة في الصمود واستمرار الكفاح · اماكيف كان يهرب رسائله فتلك قضية ليست للنشر ، الان على الاقل ·

هو الذي في السجن ، يدعوهم هم الذين في القصور ، الى الصمود